سلسلة كتيبات شبكة بينونة

هدي النبي صلى الله عليه وسلم

في التداوي من الأمراض

الجزء الأول

الشيخ
إبراهيم بن عبدالله المزروعي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

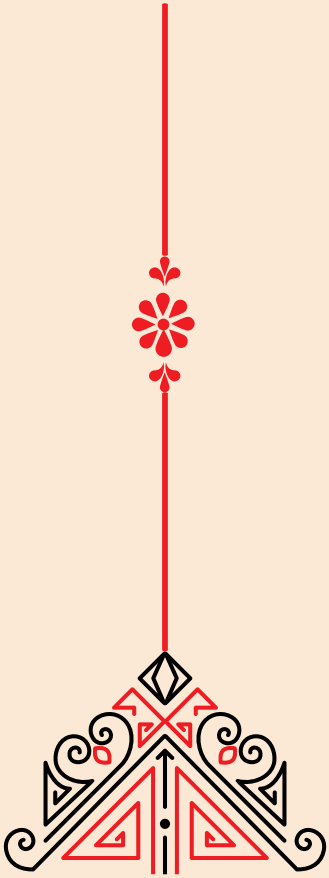

هدي النبي ﷺ

في التداوي من الأمراض

هدي النبي صلى الله عليه وسلم

في التداوي من الأمراض

الجزء الأول

الشيخ
إبراهيم بن عبد الله المزروعي

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

للمزيد من الكتب

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet

www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أما بعد؛ فإننا نحمد الله عَزَّوَجَلَّ على نعمة الإسلام، وهذه المحاضرة بعنوان: « **هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التداوي والوقاية من الأمراض** ».

ذكرنا في محاضرة سابقة بعنوان: «**النظام الصحي في الإسلام**» ذكرنا أثر هذا النظام الصحي في حفظ صحة الفرد والمجتمع، وأشرنا إلى بعض التعاليم الصحية في الإسلام الدالة على ذلك، وعلمنا أن الإسلام قام بتهذيب وتقويم رغبات الإنسان وذلك بالمحافظة على صحة الجسم، وإعطاء البدن حقه،

وذكرنا هناك مظاهر عناية الإسلام بالنظام الصحي للإنسان، والمسلم مدعو للعناية بالصحة الفردية والصحة العامة للمجتمع لكي يبقى المجتمع المسلم قويا، ولن يتم ذلك إلا باتباع هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع الأمور، ومنها النواحي الطبية والصحية، ونذكر في محاضرة اليوم هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التداوي من الأمراض، وهذه هي المحاضرة الأولى بهذا العنوان، وتتبعها محاضرتان إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ بنفس العنوان: «**هدي النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في التداوي من الأمراض**»، ونبدأ في أول هذه المحاضرة الإجابة على سؤال مهم، وهو هل يحتجّ بالهدي النبوي في الأمور العلاجية والطبية؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول بإذن الله عَزَّوَجَلَّ: إن الطب النبوي مصدره الوحي ومشكاة النبوة وكمال العقل، والله عَزَّوَجَلَّ يقول في كتابه عن نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾

﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴾ [النَّجم: ٣- ٥]، فقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾ [النَّجم: ٣] عام شامل لكل ما يخرج من فم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من القول سواء ما يتعلق بأمور الدين أو أمور الدنيا، فكل ذلك وحي أوحاه الله إليه لا مجال فيه لخطأ، ولا مدخل فيه لزلل، ولذلك جاء في صحيح البخاري رَحِمَهُٱللَّهُ بوب في صحيحه قال: باب السّعوط، باب أيّ ساعة يحتجم، باب الحجامة في السفر، باب الحجامة من الشقيقة والصّداع، وهكذا في كتب الحديث وكتب السنة نجد كتبا مفردة عن الطب ممّا يدل على أن الطب النبوي صادر عن الوحي، كذلك أن اجتهاد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ليس كاجتهاد المجتهدين الآخرين؛ لأنه لا يقر على خطأ البتة سواء كان في أمور الدنيا أو أمور الدين، يقول الشاطبي رَحِمَهُٱللَّهُ: **« إنّ الحديث إما وحي من الله صرف، وإما اجتهاد من الرسول** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **معتبر بوحي صحيح**

من كتاب أو سنة، وعلى كلا التقديرين لا يمكن فيه التناقض مع كتاب الله؛ لأنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى»[1]، أيضا الطب فعل من أفعال المكلفين وجاء الشرع الحنيف ليضبط أفعال المكلفين، ويحكمها ببيان ما يوجبه الله منها وما يحرمه وما يستحبه وما يكرهه أو يجيزه، هذه الأحكام التكليفية الخمسة، فجاء الشرع ليضبط أفعال المكلفين، ولذلك جاءت أحاديث تأمر بالتداوي، وأحاديث تصف بعض الأدوية، وأخرى تحرم قسما آخر إلى آخره، مما يدل على أن الطب النبوي وحي من الله عَزَّوَجَلَّ يحتجّ به في الأمور العلاجية والطبية، الله عَزَّوَجَلَّ أنزل الداء والدواء علمه من علمه وجهله من جهله، وما يتعلق بأمور الداء والدواء الواردة في سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما هو بتعليم الله عَزَّوَجَلَّ لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾

(١) الموافقات (٤/ ٣٣٥).

ولأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يتلق علما من عند غير الله عَزَّوَجَلَّ، كذلك إن الحقائق العلمية والطبية الواردة في السنة اشتملت على أدلة دامغة أيدها العلم الحديث، أكدها الطب الجديد مما يدل دلالة لا لبس فيها أن الذي أوحاها لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهكذا مما يدل على وجوب الاحتجاج بالهدي النبوي في الأمور العلاجية والطبية أنه وردت أحاديث كثيرة تدل أن الطب النبوي وحي من عند الله، ففي صحيح البخاري[٢] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّ رجلا أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أخي يشتكي بطنه، فقال: «**اسْقِه عَسَلاً**» ثم أتى الثانية، فقال: «**اسْقِهِ عَسَلاً**» ثم أتاه الثالثة فقال: «**اسقه عسلا**» ثم أتاه فقال: قد فعلت؟ فقال: «**صَدَقَ الله، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اسْقِهِ عَسَلاً**» فسقاه فبرأ، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٢) رقم (٥٦٨٤).

«فهذا الذي وصف له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العسل، كان استطلاق بطنه عن تخمة أصابته عن امتلاء، فأمره بشرب العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة والأمعاء، فإن العسل فيه جلاء، ودفع للفضول، وكان قد أصاب المعدة أخلاط لزجة، تمنع استقرار الغذاء فيها للزوجتها، فإن المعدة لها خمل كخمل القطيفة، فإذا علقت بها الأخلاط اللزجة، أفسدتها وأفسدت الغذاء، فدواؤها بما يجلوها من تلك الأخلاط، والعسل جلاء، والعسل من أحسن ما عولج به هذا الداء، لا سيما إن مزج بالماء الحار، وفي تكرار سقيه العسل معنى طبي بديع، وهو أن الدواء يجب أن يكون له مقدار، وكمية بحسب حال الداء، إن قصر عنه، لم يزله بالكلية، وإن جاوزه، أوهن القوى، فأحدث ضررا آخر، فلما أمره أن يسقيه العسل، سقاه مقدارا لا يفي بمقاومة الداء، ولا يبلغ الغرض، فلما أخبره علم أن الذي سقاه لا يبلغ

مقدار الحاجة، فلما تكرر ترداده إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أكد عليه المعاودة ليصل إلى المقدار المقاوم للدّاء، فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء، برأ، بإذن الله، واعتبار مقادير الأدوية، وكيفياتها، ومقدار قوة المرض والمريض من أكبر قواعد الطب، وفي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدقَ الله وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ»، إشارة إلى تحقيق نفع هذا الدواء، وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء في نفسه، ولكن لكذب البطن، وكثرة المادة الفاسدة فيه، فأمره بتكرار الدواء لكثرة المادة، وليس طبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كطب الأطباء، فإن طب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متيقن قطعي إلهي، صادر عن الوحي، ومشكاة النبوة، وكمال العقل، وطب غيره، أكثره حدس وظنون، وتجارب، ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة، فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول، واعتقاد الشفاء به، وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان، فهذا القرآن الذي هو شفاء لما

في الصدور إن لم يتلق هذا التلقي لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها، بل لا يزيد المنافقين إلا رجسا إلى رجسهم، ومرضا إلى مرضهم، وأين يقع طب الأبدان منه، فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة، كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة والقلوب الحية، فإعراض الناس عن طب النبوة كإعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع، وليس ذلك لقصور في الدواء، ولكن لخبث الطبيعة، وفساد المحل، وعدم قبوله، والله الموفق» [٣].

كلام قوي من هذا الإمام في إثبات أنه يحتج بالهدي النبوي في الأمور العلاجية والطبية، ثم يقول ابن القيم أول كتابه الطب النبوي [٤]: **«فهذه فصول نافعة في هديه ﷺ في الطب الذي تطبب به ووصفه لغيره، ونبين ما فيه من الحكمة التي تعجز عقول أكثر**

(٣) الطب النبوي (ص٢٨).
(٤) (ص٥).

الأطباء عن الوصول إليها»، ثم يقول أيضا في مقدمة كتابه الطب النبوي[٥] : **« قد أتينا على جملة نافعة من أجزاء الطب العلمي والعملي، لعل الناظر لا يظفر بكثير منها إلا في هذا الكتاب، وأرينا قرب ما بينهما وبين الشريعة... ولعل قائلا يقول: ما لهدي الرسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وما لهذا الباب، وذكر قوى الأدوية، وقوانين العلاج، وتدبير أمر الصحة؟ وهذا من تقصير هذا القائل في فهم ما جاء به الرسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فإن هذا وأضعافه وأضعاف أضعافه من فهم بعض ما جاء به، وإرشاده إليه، ودلالته عليه، وحسن الفهم عن الله ورسوله منٌّ يمن الله به على من يشاء من عباده، فقد أوجدناك أصول الطب الثلاثة في القرآن، وكيف تنكر أن تكون شريعة المبعوث بصلاح الدنيا والآخرة مشتملة على صلاح الأبدان، كاشتمالها على صلاح القلوب،**

(٥) (ص٣١٤-٣١٥).

وأنها مرشدة إلى حفظ صحتها، ودفع آفاتها بطرق كلية قد وكل تفصيلها إلى العقل السليم، والفطرة السليمة بطريق القياس والتنبيه والإيماء، كما هو في كثير من مسائل فروع الفقه، ولا تكن ممن إذا جهل شيئا عاداه، -هذا يرد على هذا القائل الذي يعترض- ثم قال: ولو رزق العبد تضلعا من كتاب الله وسنة رسوله، وفهما تاما في النصوص ولوازمها، لاستغنى بذلك عن كل كلام سواه، ولاستنبط جميع العلوم الصحيحة منه، فمدار العلوم كلها على معرفة الله وأمره وخلقه، وذلك مسلم إلى الرسل صلوات الله عليهم وسلامه، فهم أعلم الخلق بالله وأمره وخلقه وحكمته في خلقه وأمره، وطب أتباعهم: أصح وأنفع من طب غيرهم، وطب أتباع خاتمهم وسيدهم وإمامهم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أكمل الطب وأصحه وأنفعه، ولا يعرف هذا إلا من عرف طب الناس سواهم

وطبهم ثم وازن بينهما، فحينئذ يظهر له التفاوت، وهم أصح الأمم عقولا وفطرا، وأعظمهم علما، وأقربهم في كل شيء إلى الحق؛ لأنهم خيرة الله من الأمم، كما أن رسولهم خيرته من الرسل، والعلم الذي وهبهم إياه، والحلم والحكمة أمر لا يدانيهم فيه غيرهم».

ونستفيد كثيرا من هذا الكتاب بل معظم مادة هذه المحاضرات في هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التداوي والوقاية من الأمراض معظمها من هذا الكتاب، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أيضا في أول كتابه: «**أما بعد، فهذه فصول نافعة في هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الطب الذي تطبب به ووصفه لغيره، ونبين ما فيه من الحكمة التي تعجز عقول أكثر الأطباء عن الوصول إليها**»، ثم بدأ في ذكر أنواع المرض فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «**المرض: نوعان مرض القلوب، ومرض الأبدان، وهما مذكوران في القرآن، ومرض القلوب: نوعان: مرض شبهة وشك،**

ومرض شهوة وغي، وكلاهما في القرآن» [٦]، ثم قال: «وأما مرض الأبدان، فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الفتح: ١٧]، وذكر مرض البدن في الحج والصوم والوضوء لسر بديع يبين لك عظمة القرآن، والاستغناء به لمن فهمه وعقله عن سواه، وذلك أن قواعد طب الأبدان ثلاثة حفظ الصحة، والحمية عن المؤذي، واستفراغ المواد الفاسدة، فذكر سبحانه هذه الأصول الثلاثة في هذه المواضع الثلاثة» [٧]، ثم قال يتكلم عن طب الأبدان، -هذه مقدمة مهمة نذكرها في بيان أهمية الطب النبوي، وما جاء فيها قبل ذكر أمثلة على هدي النبي ﷺ في التداوي والوقاية من الأمراض- يقول ابن القيم: «وأما طب الأبدان: فإنه نوعان: نوع قد فطر الله عليه الحيوان ناطقه وبهيمه،

(٦) (ص٥).
(٧) (ص٦).

فهذا لا يحتاج فيه إلى معالجة طبيب، كطب الجوع، والعطش والبرد، والتعب بأضدادها وما يزيلها.

والثاني: ما يحتاج إلى فكر وتأمل، كدفع الأمراض المتشابهة الحادثة في المزاج، بحيث يخرج بها عن الاعتدال، إما إلى حرارة، أو برودة، أو يبوسة، أو رطوبة، أو ما يتركب من اثنين منها، وهي نوعان: إما مادية أو كيفية» [٨]، إلى آخر كلامه في ذكر أنواع الأمراض وحالاتها.

ثم قال بعد ذلك: « **فالطبيب: هو الذي يفرق ما يضر بالإنسان جمعه، أو يجمع فيه ما يضره تفرقه، وينقص منه ما يضره زيادته، أو يزيد فيه ما يضره نقصه، فيجلب الصحة المفقودة، أو يحفظها بالشكل والشبه، ويدفع العلة الموجودة بالضد والنقيض، ويخرجها، أو يدفعها بما يمنع من حصولها بالحمية،**

(٨) (ص٨).

وسترى هذا كله في هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شافيا كافيا بحول الله وقوته، وفضله ومعونته»[٩].

إلى أن قال: «فكان من هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعل التداوي في نفسه، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه، ولكن لم يكن من هديه ولا هدي أصحابه استعمال هذه الأدوية المركبة، بل كان غالب أدويتهم بالمفردات... وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء لا يعدل عنه إلى الدواء، ومتى أمكن بالبسيط لا يعدل عنه إلى المركب، قالوا -أي الأطباء- وكل داء قدر على دفعه بالأغذية والحمية، لم يحاول دفعه بالأدوية، قالوا ولا ينبغي للطبيب أن يولع بسقي الأدوية، فإن الدواء إذا لم يجد في البدن داء يحلله، أو وجد داء لا يوافقه، أو وجد ما يوافقه فزادت كميته عليه، أو كيفيته، نشبت بالصحة، وعبث بها»[١٠].

(٩) (ص٩).

(١٠) (ص٩-١٠).

هذه نصيحة قيمة من هذا الإمام، ينصح الأطباء يقول لا ينبغي للطبيب أن يولع بسقي الأدواء، صرف الأدوية للمرضى بالكميات الكبيرة، قال: «**فإن الدواء إذا لم يجد في البدن داء يحلله، أو وجد داء لا يوافقه، أو وجد ما يوافقه فزادت كميته عليه، أو كيفيته، نشبت بالصحة، وعبث بها**» استمر هذا المرض بل إلى مرض أعضاء كثيرة في هذا البدن، وتسبب صرف هذه الأدوية في أمراض جديدة، هذه نصيحة منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الكتاب ثم قال[11]: روى مسلم في صحيحه[12] : من حديث أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: «**لكلِّ دَاءٍ دَوَاء، فَإِذَا أُصِيب دَوَاء الدَّاء، بَرَأَ بِإِذْنِ الله**» عَزَّوَجَلَّ، وفي الصحيحين عن عطاء، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَنْزَل الله مِن دَاء إلا أَنْزَلَ لَه شفَاءً**»[13]. وفي مسند الإمام أحمد:

(١١) (ص١٢).

(١٢) رقم (٢٢٠٤).

(١٣) صحيح البخاري (٥٦٧٨).

من حديث أسامة بن شريك، قال: كنت عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاءت الأعراب، فقالوا: يا رسول الله! أنتداوى؟ فقال: «**نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله عَزَّوَجَلَّ لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد**»، قالوا ما هو؟ قال: «**الهرم**»(١٤) وفي لفظ: «**إن الله لم ينزل داء إلا أنزل شفاء، علمه من علمه وجهله من جهله**»(١٥).

هذه أحاديث ثلاثة ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم قال بعدها(١٦): «**وفي الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع، والعطش، والحر، والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا، وأنّ تعطيلها يقدح في نفس**

(١٤) رواه أحمد (١٨٤٥٤)، والترمذي (٢٠٣٨)، وأبو داود (٣٨٥٥)، وابن ماجه (٣٤٣٦).

(١٥) رواه أحمد (١٨٤٥٦).

(١٦) (ص١٣).

التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة».

يرد ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على من قال بأن البحث عن الدواء ينافي التوكل، يرد عليهم ويقول الأمر بالتداوي لا ينافي التوكل لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تداوى من بعض الأمراض، كما سيأتي من هديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم يقول ابن القيم: « **وفي قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاء »، تقوية لنفس المريض والطبيب، وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه، فإن المريض إذا استشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيله، تعلق قلبه بروح الرجاء، وبردت عنده حرارة اليأس، وانفتح له باب الرجاء، ومتى قويت نفسه انبعثت حرارته الغريزية، وكان ذلك سببا لقوة الأرواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية، ومتى قويت هذه الأرواح، قويت القوى التي هي حاملة لها، فقهرت المرض ودفعته، وكذلك الطبيب إذا علم أن لهذا الداء دواء أمكنه طلبه والتفتيش عليه»** [١٧].

(١٧) (ص١٥).

هذا كلام قيم من هذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول كتابه الطب النبوي الذي سنستفيد منه كثيرا من خلال هذه المحاضرات، ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصلا مهما قال: « **فصل في هديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الاحتماء من التخم، والزيادة في الأكل على قدر الحاجة، والقانون الذي ينبغي مراعاته في الأكل والشرب**».

هذه مسألة مهمة جدا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينها، قال ابن القيم (١٨) : «في المسند وغيره: عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « **مَا مَلأ آدمي وعَاءً شرًّا من بطنه، بحسبِ ابن آدم لقيمَات يقمن صُلبه، فإن كان لا بد فاعلاً، فثلث لطعَامه، وثلث لشرَابه، وثلث لنَفَسِه** » (١٩).

يذكر هذا الحديث الصحيح في أول هذا الفصل: فصل في هديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الاحتماء من التخم، وهديه أيضا

(١٨) (ص١٥).

(١٩) رواه أحمد (١٧١٨٦)، والترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩).

في الزيادة في الأكل على قدر الحاجة والقانون الذي ينبغي مراعاته في الأكل والشرب، هذه مقدمة مهمة للإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفيه أيضا هذا الحديث فوائد عظيمة بل هذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها، لو استعمل الناس هذه الكلمات سلموا من الأمراض والأسقام ولتعطلت المستشفيات والصيدليات، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال هذا الكلام: « **مَا مَلأ آدمي وعَاءً شرًّا من بطنه** » لأن أصل كل داء التخم، ولذلك يقول طبيب العرب الحارث ابن كلدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: الحمية رأس الدواء والبطنة رأس الداء، وقال أيضا: الذي قتل البرية وأهلك السباع في البرية إدخال الطعام على الطعام قبل الانهضام، إذًا هذا بعض منافع تقليل الغذاء وترك التملي من الطعام بالنسبة إلى صلاح البدن وصحته، أما منافع هذه الحمية بالنسبة للقلب وصلاحه فإن قلة الغذاء توجب رقة القلب وقوة الفهم وانكسار النفس

وضعف الهوى والغضب، وكثرة الغذاء توجب ضد ذلك، هذا الكلام أيضا ذكره الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه جامع العلوم والحكم [٢٠] قال: إن أصل كل داء التخم، ويذكر كلام طبيب العرب الحارث ابن كلدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحمية رأس الدواء والبطنة رأس الداء، إلى آخر كلامه الذي نقلنا بعضا منه، إذًا ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر هذا الحديث ثم يقول بعد هذا الحديث: « **ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن** »: «**الأمراض نوعان: أمراض مادية تكون عن زيادة مادة أفرطت في البدن حتى أضرت بأفعاله الطبيعية-بالأفعال الطبيعية لهذا البدن-، وهي الأمراض الأكثرية، وسببها إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول، والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن وتناول، الأغذية القليلة النفع، البطيئة الهضم، والإكثار من الأغذية المختلفة التراكيب المتنوعة**» [٢١].

(٢٠) (٢/ ٥٢٥).

(٢١) (ص١٥).

هذه نصيحة قيمة من هذا الإمام، يذكر الأمراض نوعان: أمراض مادية قال: وهي أكثر الأمراض، سبب هذه إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول، إدخال الطعام على الطعام قبل أن يهضم الطعام الأول، قال بعد ذلك: الثاني الزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن، الإسراف في الأكل والشرب، هذا الإسراف الذي نهى عنه الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه، الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١]، فالإسراف في الطعام والشراب سبب للأمراض المادية، أيضا يذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا سببها قال: إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن، والثالث من الأسباب تناول الأغذية القليلة النفع البطيئة الهضم، والسبب الرابع قال: الإكثار من الأغذية المختلفة التراكيب المتنوعة، خلط بين أنواع الأطعمة في وقت واحد، هذه أربعة أسباب يذكرها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذه

الأمراض المادية التي أفرطت في البدن حتى أضرت بأفعاله الطبيعية، قال هذه أكثر الأمراض وأسبابها هذه ذكرها أربعة، ثم قال: «**فإذا ملأ الآدمي بطنه من هذه الأغذية، واعتاد ذلك، أورثته أمراضا متنوعة، منها بطيء الزوال وسريعه، فإذا توسط في الغذاء، وتناول منه قدر الحاجة، وكان معتدلا في كميته وكيفيته، كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير. ومراتب الغذاء ثلاثة: أحدها: مرتبة الحاجة، والثانية: مرتبة الكفاية، والثالثة: مرتبة الفضلة – الطعام الزائد، ويرجع ابن القيم إلى استنباط الفوائد الطبية من هذا الحديث: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن »– فأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه يكفيه لقيمات يقمن صلبه، فلا تسقط قوته، ولا تضعف معها، فإن تجاوزها، فليأكل في ثلث بطنه، ويدع الثلث الآخر للماء، والثالث للنفس، وهذا من أنفع ما للبدن والقلب، فإن البطن إذا امتلأمن الطعام**

ضاق عن الشراب، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس، وعرض له الكرب والتعب، وصار محمله بمنزلة حامل الحمل الثقيل، هذا إلى ما يلزم ذلك من فساد القلب، وكسل الجوارح عن الطاعات، وتحركها في الشهوات التي يستلزمها الشبع، فامتلاء البطن من الطعام مضر للقلب والبدن» (٢٢).

ولذلك جاء عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما أخرجه ابن أبي حاتم في كتابه آداب الشافعي (٢٣) بسنده قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«مَا شَبِعْتُ مُنْذُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً، إلا شبْعَةً اطَّرَحْتُهَا، يَعْنِي فَطَرَحْتُهَا؛ لأَنَّ الشِّبَعَ يُثْقِلُ الْبَدَنَ، وَيُقَسِّي الْقَلْبَ، وَيُزِيلُ الْفِطْنَةَ، وَيَجْلِبُ النَّوْمَ، وَيُضْعِفُ صَاحِبَهُ عَنِ الْعِبَادَةِ»**، إذًا ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول فامتلاء البطن من الطعام مضر للقلب والبدن، ثم قال: **«هذا إذا كان دائما أو أكثريا،**

(٢٢) (ص١٥).

(٢٣) (ص١٠٦).

وأما إذا كان في الأحيان، فلا بأس به، فقد شرب أبو هريرة بحضرة النبي ﷺ من اللبن، حتى قال: «والذي بعثك بالحق، لا أجد له مسلكا» (٢٤) **وأكل الصحابة بحضرته مرارا حتى شبعوا»** (٢٥).

إذًا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وينصح بعدم ملء البطن دائما من الطعام، قال أما أحيانا فلا بأس به لا يضر، ثم يقول أيضا بعد ذلك ابن القيم -نحن ننقل بعض ما جاء من كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لنستفيد جميعا منه من خلال هذه المحاضرة القيمة في بيان هدي النبي ﷺ في التداوي والوقاية من الأمراض- يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك: **«وكان علاجه ﷺ للمرض ثلاثة أنواع: أحدها: بالأدوية الطبيعية، والثاني: بالأدوية الإلهية، والثالث: بالمركب من الأمرين»**.

(٢٤) رواه البخاري (٦٤٥٢).
(٢٥) (ص١٥).

إذًا هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العلاج من هذه الأمراض بثلاثة أنواع: بالأدوية الطبيعية سيأتي الكلام عنها، هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعلاج بالأدوية الطبيعية، والثاني: علاجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأدوية الإلهية بالرقية والاستشفاء بالقرآن وبالأذكار الشرعية والأدعية، والثالث في العلاج من الأمراض قال: بالمركب من الأمرين بالأدوية الطبيعية وبالأدوية الإلهية بالرقية والأذكار والأدعية ومعها الأدوية الطبيعية كالعسل والحبة السوداء و غيرها مما سيأتي من خلال المحاضرات القادمة إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول ابن القيم: « **ونحن نذكر الأنواع الثلاثة من هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنبدأ بذكر الأدوية الطبيعية التي وصفها واستعملها، ثم نذكر الأدوية الإلهية، ثم المركبة**».

ثم يقول قبل أن يبدأ بالنوع الأول: «**وأما طب الأبدان فجاء من تكميل شريعته، ومقصودا لغيره، بحيث إنما يستعمل عند الحاجة إليه، فإذا قدر على الاستغناء عنه،**

كان صرف الهمم والقوى إلى علاج القلوب والأرواح، وحفظ صحتها، ودفع أسقامها، وحميتها مما يفسدها هو المقصود بالقصد الأول، -إصلاح القلوب علاج القلوب والأرواح هو الأول المراد- وإصلاح البدن بدون إصلاح القلب لا ينفع، وفساد البدن مع إصلاح القلب مضرته يسيرة جدا، وهي مضرة زائلة تعقبها المنفعة الدائمة التامة، وبالله التوفيق» (٢٦).

يشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أنه مع العناية بالصحة وإصلاح البدن من الأمراض هناك ما هو أولى من إصلاح البدن، وهو علاج القلوب إصلاح القلوب والأرواح، حفظ صحة القلوب، دفع أسقام القلوب من الشبهات ومن الجهل ومن غيرها، حماية هذه القلوب ما يفسدها من الشهوات والشبهات، قال: هو المقصود بالقصد الأول وإصلاح البدن بدون إصلاح القلوب قال لا ينفع، هذه

(٢٦) (ص٢٠).

نصيحة مهمة قبل أن يبدأ بذكر هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العلاج والتداوي، و نأخذ أمرا واحدا من القسم الأول الذي سنبدأ به من هذه الأنواع الثلاثة من هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العلاج ثلاثة أنواع: بالأدوية طبيعية هذا القسم الأول، ثم القسم الثاني بالأدوية الإلهية، والقسم الثالث بالمركب من الأمرين، كما يرتب ذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الطب النبوي.

نبدأ بالقسم الأول: هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العلاج بالأدوية الطبيعية، ونذكر فصلا واحدا في ختام هذه المحاضرة هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في علاج الحمى، ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إِنَّ شِدَّةَ الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ** »[٢٧]، وابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر هذا الحديث قال: «**وقد أشكل هذا الحديث على كثير من جهلة الأطباء،**

(٢٧) رواه البخاري (٣٢٦١)، ومسلم (٢٢٠٩).

ورأوه منافيا لدواء الحمى وعلاجها».

ثم بدأ يرد عليهم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ويبين لهم بأن هذا العلاج هو العلاج الذي ينفع البدن قال في رده على هؤلاء قال: « **وقد ينتفع البدن بالحمى انتفاعا عظيما لا يبلغه الدواء،-يذكر منافع الحمى التي تصيب الإنسان- وكثيرا ما يكون حمى يوم، وحمى العفن سببا لإنضاج مواد غليظة لم تكن تنضج بدونها، وسببا لتفتح سدد لم يكن تصل إليها الأدوية المفتحة»**، ثم قال: «**وقال لي بعض فضلاء الأطباء: إن كثيرا من الأمراض نستبشر فيها بالحمى، كما يستبشر المريض بالعافية، فتكون الحمى فيه أنفع من شرب الدواء بكثير، فإنها تنضج من الأخلاط والمواد الفاسدة ما يضر بالبدن، فإذا أنضجتها صادفها الدواء متهيئة للخروج بنضاجها، فأخرجها، فكانت سببا للشفاء».**

يذكر منافع الحمى والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن سب الحمى فقال: «لَا تَسُبِّي الْحُمَّى» (٢٨)، ثم يقول ابن القيم: «وإذا عرف هذا، فيجوز أن يكون مراد الحديث من أقسام الحميات العرضية، فإنها تسكن على المكان بالانغماس في الماء البارد،-يشير إلى حديث عبد الله ابن عمر قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ شِدَّةَ الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ» علاج الحمى الماء- وسقي الماء البارد المثلوج، ولا يحتاج صاحبها مع ذلك إلى علاج آخر، فإنها مجرد كيفية حارة متعلقة بالروح، فيكفي في زوالها مجرد وصول كيفية باردة تسكنها، وتخمد لهبها من غير حاجة إلى استفراغ مادة، أو انتظار نضج. ويجوز أن يراد به جميع أنواع الحميات... وقوله: «الحُمَّى من فَيحِ جَهَنَّم»، هو شدة لهبها، وانتشارها، ونظيره قوله: «شِدَّة الحَرِّ مِن فَيحِ جَهَنَّم».

(٢٨) رواه مسلم (٢٥٧٥).

وفيه وجهان: أحدهما: أن ذلك أنموذج ورقيقة اشتقت من جهنم ليستدل بها العباد عليها، ويعتبروا بها، ثم إن الله سبحانه قدر ظهورها بأسباب تقتضيها... والثاني: أن يكون المراد التشبيه، فشبه شدة الحمى ولهبها بفيح جهنم، وشبه شدة الحر به أيضا تنبيها للنفوس على شدة عذاب النار، وأن هذه الحرارة العظيمة مشبهة بفيحها، وهو ما يصيب من قرب منها من حرها، وقوله: «فَأَبْرِدُوهَا»، روي بوجهين: بقطع الهمزة وفتحها، رباعي: من أبرد الشيء: إذا صيره باردا، مثل أسخنه: إذا صيره سخنا، والثاني: بهمزة الوصل مضمومة من برد الشيء يبرده، وهو أفصح لغة واستعمالا، وقوله: «بالمَاءِ» فيه قولان: أحدهما: أنه كل ماء وهو الصحيح، والثاني: أنه ماء زمزم، واحتج أصحاب هذا القول بما رواه البخاري في صحيحه[٢٩]، عن أبي جمرة نصر بن عمران الضبعي، قال: كنت أجالس ابن عباس بمكة،

(٢٩) رقم (٣٢٦١).

فأخذتني الحمى، فقال: أبردها عنك بماء زمزم، فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الحُمَّى مِن فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبرِدُوهَا بِالمَاءِ، أو قال: بمَاءِ زَمْزَم». وراوي هذا قد شك فيه، ولو جزم به لكان أمرا لأهل مكة بماء زمزم، إذ هو متيسر عندهم، ولغيرهم بما عندهم من الماء» (٣٠).

إذًا «**أَبْرِدُوهَا بالمَاءِ**»، أي ماء هو الصحيح، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك: **«فالحمى تنفع البدن والقلب، وما كان بهذه المثابة فسبه ظلم وعدوان»** (٣١).

وذكرنا هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في علاج الحمى من هذا الحديث: «**فَأَبْرِدُوهَا بِالمَاءِ**»، وبين ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فإن هذه للحمى تسكن على المكان بالانغماس في الماء البارد، أو سقي الماء البارد المثلوج شرب الماء البارد، هذا هو هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في علاج الحمى،

(٣٠) (ص٢٣-٢٤).

(٣١) (ص٢٥).

نكتفي بهذا نظرا لضيق الوقت وللحديث بقية في المحاضرة الثانية والثالثة بنفس العنوان: هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التداوي والوقاية من الأمراض.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يفقهنا وإياكم في ديننا، كما نسأله عَزَّوَجَلَّ أن يحفظ بلادنا دولة الإمارات وبلاد المسلمين من كل سوء وفتنة، نسأله عَزَّوَجَلَّ أن يوفق ولاة الأمور لما يحبه ويرضاه، وأن يرزقهم البطانة الصالحة ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

حقوق الطبع محفوظة

لمزيد من الكتيبات

يرجى مسح الكود أو اتباع الرابط أدناه:

https://www.baynoona.net/ar/all-tafrighat